

عنوان البرنامج: مسالك التقريب العقدي في المذهب الأشعري
الوحدة الأولى: مقدمات في مسالك التقريب العقدي
الدرس الأول: حاجة الإنسان الملحة إلى معتقدٍ صحيحٍ يَهْدِبُ سلوكه
اسم المحاضر: الدكتور عبد العلي بلامين

حاجة الإنسان الملحة إلى مُعتقدٍ صحيحٍ يَهْدِبُ سلوكه

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.
وبعد:

فإنَّ العقيدةَ الصحيحةَ أسُّ بُنيانِ الدِّينِ، والإخْلَافُ بها يُفْضِي إلى نَقْضِهِ، لذلك اعتُبرَ القصدُ إلى تحصيلها أوَّلَ واجبٍ على المكلفِ، فصحَّةُ العباداتِ والمعاملاتِ والسلوكِ مُتَوَقِّفَةٌ على صحَّةِ الاعتقادِ، قال جلَّ وعلا: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾¹، وقال عز وجل: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾².

ومعرفة الأمر والنَّاهي مُقدِّمة على معرفة المأمور به والمنهَى عنه؛ من أجل ذلك مكث النبي صلى الله عليه وسلم بمكة زهاء ثلاث عشرة سنة يغرس في صحابته قيم التوحيد معتمداً منهجاً تقريبياً رانياً أهلهم لتحمل باقي التشريعات. وفي السياق نفسه، أوصى النبي صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل لما بعثه إلى أهل اليمن بهذا المنهج التقريبي؛ إذ قال له: «إِنَّكَ تَقْدُمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوحِدُوا اللَّهَ تَعَالَى، فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ...»³.

إنَّ اتِّبَاعَ المنهجِ النبويِّ في تقريب الشريعة الإسلامية للناس بغرس قيم التوحيد الصحيحة فيهم أولاً، هو خير سبيل إلى تخليق الحياة العامة؛ فمعرفة الله تعالى على الوجه الصحيح تُجَنِّبُ الإنسان ارتكاب الجرائم والسلوكيات

1. سورة الزمر، الآية: 65.

2. سورة الأنعام، الآية: 88.

3. جزء من الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب: ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى. رقم الحديث: 7372.

المنحرفة سرّاً وعلائيةً، وتدرأ عنه القنوط من رحمة الله، وفقدان الأمل في التوبة إذا ما صدر عنه شيء منها، كما تؤمن قلبه فتصدُّ عنه مختلف الاختراقات الفكرية المتطرّفة العابرة للقارات، التي أضحت تحرق الحدود رقمياً من غير جواز سفر، باحثة عن مستقر، فيلى أين المفر، إذا ما صادفت قلباً غير مؤمنٍ من خطر؟

وبعد استقرار العقيدة بمسئقتها تصير محرّكاً ودافعاً يدفع الإنسان إلى فعل ما تقتضيه، فتأمل خطر ذلك عليه إذا ما أشرب قلبه فكراً متطرّفاً فاستحاله آلة هدامة !

فتحصّل بذلك أنّ كلّ خللٍ أو قصورٍ يعتري سلوك الإنسان إلا وللعقيدة أثر فيه؛ فبعض الخلل فيها تعظم السلوكيات المنحرفة الصادرة عنه. ونسلك مسلك التقعيد فنقول: إنّ المعتد المتطرّف يؤلّد سلوكاً متطرفاً، والمعتد المعتدل الوسطي يؤلّد سلوكاً معتدلاً ووسطياً.

إن العقيدة الإسلامية الصحيحة تُمدُّ الإنسان بحصانة ربّانية، ومناعة ضد أدواء العصر؛ من اكتئابٍ وقلقٍ وتوترٍ عصبيٍّ، وما ينتج عنها من ظواهر خطيرة كالانتحار وغيرها؛ لأنّ من أصولها وقواعدها، الإيمان بالقدر خيرٍ وشرٍّ، والتسليم للخالق الحكيم الخبير بما يفتقر إليه المخلوق، وبما يحقّق له السعادة بالدارين، قال جلّ وعلا: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾⁴، وقال عزّ وجلّ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ انشَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾⁵، وهي السبيل إلى تحقّق إنسانية الإنسان؛ إذ تُخاطب عقله بما يفهمه، وفي حدود ما يُدرّكه، وتحثّه على إعماله بالنظر والتأمل، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ * رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾⁶، وتُحفّز الإنسان على استثمار عقله في الحوار والانفتاح، قال جلّ وعلا: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾⁷، كما تُؤنس فؤاده وتحرّره من أغلال الغلو والتطرف والجفاء، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾⁸.

وصلّى الله وسلّم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

4. سورة الملك، الآية: 14.

5. سورة النحل، الآية: 97.

6. سورة آل عمران، الآيتان: 190-191.

7. سورة النحل، الآية: 125.

8. سورة الرعد، الآية: 28.